

بدايات ونهايات

شعر: زاهد منير عامر

ترجمة: إبراهيم محمد إبراهيم

سلسلة الشعر

المركز القومى للترجمة

1539

بدايات ونهايات

المركز القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

سلسلة الشعر
المشرف على السلسة: رانيا فتحى

- العدد: 1539
- بدايات ونهايات
- زاهد منير عامر
- إبراهيم محمد إبراهيم
- الطبعة الأولى 2010

هذه ترجمة:

مختارات من أعمال
زاهد منير عامر
(أشعار بالأردية)

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ – ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya St. , Opera House, El Gezira, Cairo.,

E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

بدايات ونهايات

شـــعر: زاهـــد منيـــر عـــامر

ترجمـــة: إبراهيم محمد إبـــراهيم



2010

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

عامر ، زاهد منير
بدايات ونهايات / تأليف: زاهد منير عامر ، ترجمة : إبراهيم محمد إبراهيم؛
ط ١ - القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠١٠
١٥٢ ص ، ٢٠ سم
١ - الشعر الأردى
(أ) إبراهيم، إبراهيم محمد (مترجم)
(ب) العنوان ٨٩١,٤٣٩١

رقم الإيداع : ٥٩٧٨ / ٢٠١٠
الترقيم الدولى : I.S.B.N - 978 - 977 - 479 - 998 - 4
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

محتويات

من ديوان: القصائد تكلمنى

تقـــديم

عرفت الأخ العزيز زاهد منير عامر وهو غلام يافع يكاد أن يكون شابا، تلوح فى جبينه مخايل عزم وحزم ينمّان عن مستقبل زاهر. وعرفت فيه – منذ عرفته – جد الكهول.

ونضوج الشيوخ على حداثة سنه، كأنه يحمل – حسب التعبير الإنجليزى – رأسا مسنا على عاتق فتي. كان صالحًا ديّنًا مولعًا بالعلم وبالكتابة. ظهر أول مصنفاته وعمره لم يتجاوز خمسة عشر عامًا بعد، وكانت مواهبه غير العادية تلفت إليه الأنظار وتثير الدهشة والإعجاب كما قيل قديمًا:

ساس الرجال لسبع عشرة حجة ** ولداته عن ذاك فى أشغال.

وكانت مواهبه هذه الكثيرة الوفيرة متنوعة منذ البداية. فكم من مجال دراسى وغير دراسى فاق فيه زملاءه وبزهم فى تلك الأيام. ثم شب وترعرع وخطا على جادة الحياة خطوات واسعة. ولم يلبث أن

طلع على أفق الأوساط العلمية فى باكستان كباحث ممتاز وكاتب ناجح وأستاذ محبوب لدى الطلاب، كما ظهرت براعته فى شتى برامج التليفزيون الدينية والعلمية والأدبية، وازدهرت لديه فوق ذلك كله شاعرية ذات حساسية بالغة، وما أسرع ما أخرج لقرائه ديوانين من شعره، ملؤهما الخلابة والجمال.

وزاهد منير الشاعر قادر على التعبير عن مشاعره فى الشعر التقليدى والشعر الحرعلى السواء، فى أسلوب متين رقيق. إنه متين لسلامة لغته، ورصانة تراكيبه، ولعراقته فى التقاليد الشعرية الأردية، ورقيق لرقة العواطف المتدفقة من أعماق الذات، تنبع عن قلب ذكى نابض فلا تخطئ سبيلها إلى القلوب. وهذا الشعر يستخرج معان مبتكرة من رموز قديمة، ويعكس أحاسيس رومانسية فى ثوب يكاد أن يكون كلاسيكيا، نجد له فى أصله الأردى جرسا موسيقيا ربما لا يمكن نقله إلى لغة أخرى، ونسمع فيه خشخشة الأوراق الذهبية فى ظلال فصل الخريف، وتحادث النجوم فى السماء، وتغريد البلابل على الأغصان كما نشم فيه رائحة البراعم المتفتحة، والورود العطيرة، وأريج الألفاظ التى تفوح على الشفاه بالعبير.

وأرى من اللازم أن أنوه هنا بالجدارة الفائقة للأخ الفاضل الدكتور إبراهيم محمد إبراهيم المصرى الذى قام بنقل هذه القصائد من الأردية إلى العربية، وكان ذلك عملا صعبا حقا، لا يتم إلا إذا

اجتمع لدى الناقل تمكن تام من اللغتين، مع تذوق صحيح للقيم الأدبية والرموز الثقافية فيهما، والقدرة على نقل الوحى الشعرى من لغة إلى لغة. والدكتور إبراهيم من الأشخاص الأفذاذ المتصفين بهذه الصفات النادرة، فقد رضع العربية فى المهد، واستقى الأردية من منابعها أعواما طوالا، حتى فاز بالدكتوراة فى آدابها من جامعة بنجاب بلاهور فى باكستان.

ونشر هذه التراجم لقصائد الدكتور زاهد منير عامرفى فترة يقوم فيها بتدريس اللغة الأردوية وآدابها بجامعة الأزهر الشريف، يشكل رمزا قويا لتوطيد الأواصر بين باكستان ومصر من جانب، وبين اللغة الأردية والعربية من جانب آخر. وإن هذه القصائد لمحظوظة حقا، فإنها من النذر القليل الذى شق طريقه إلى الأوساط العربية مما قاله شعراء الأردية، فهنيئا لمصر ولباكستان وللغتين معا، وهنيئا للقراء العرب الذين قد فتحت عليهم نافذة مطلة على آفاق أدب لم يتذوقوا منه إلا اليسير جدا، نافذة مطلة على سحر الآمال ورقص الأمانى وحلاوة الحب التى تقاوم صرامة الأقدار، وخلود الأحلام التى تصمد فى وجه الظروف القاسية.

خورشيد رضوى

جدة ٢٩ يونيو ٢٠٠٨م

مقـــدمة المترجم

الأدب الأردي وإن كان أدبًا حديثًا بمـــقاييس الآداب العالمية، إلاّ أنه أدب غني بنفس المقاييس أيضا، ويستطيع المطلع على هذا الأدب شعرًا ونثرًا أن يؤكد ذلك دون أدنى تردد، ويذكر أسماء العديد من أدباء وشعراء الأردية الذين عرفهم العالم واهتز وجدًا لإبداعاتهم، وأقبل عليها ينقلها من لغة إلى لغة، ويكفينا في هذا الخصوص أن نذكر العلامة المفكر والشاعر الفيلسوف محمد إقبال (١٨٧٣م – ١٩٣٨م) والشاعر العبقري أسد الله خان غالب (١٧٩٧م – ١٨٦٩م)، والشاعر الهندوكي المعتدل تلوك تشاند محروم (١٨٨٧م – ١٩٦٦م)، والشاعر المناضل فيض أحمد فيض (متوفى ١٩٨٤م)، والشاعر المتمرد ن. م. راشد (١٩١٠م – ١٩٨٠م)، والشاعر المرهف الحس ناصر كاظمي (١٩٢٥م – ١٩٧٢م)، والشاعرة الرقيقة بروين شاكر (١٩٥٢م – ١٩٩٤م)، والقاص بريم تشاند وسعادت حسن منتو وكرشن تشندر وممتاز مفتي وإشفاق أحمد وبانو قدسية وقدرت الله شهاب ونسيم حجازي ومستنصر حسين تارر

وانتظار حسين (ولد ١٩٢٥م) وغير هؤلاء الكثير والكثير، وكلهم أثرى الفكر الإنساني، وأسعد المتلقين على اختلاف مشاربهم. هذا وإن كانت الأسماء التي أشرنا إليها في السطور السابقة لنجوم كبيرة في سماء الأدب الأردي، سواء من انتقل منهم إلى رحمة الله أو من بقي منهم على قيد الحياة، فإن جيل الشباب من المبدعين جيل خلاق أيضًا، والساحة الأدبية الأردية تزخر بالعديد من الشعراء والأدباء سواء في باكستان معقل اللغة الأردية وحصنها الحصين أو في الهند محل ميلاد الأردية ومسقط رأسها، والسيد الدكتور زاهد منير عامر واحد من شعراء الأردية الشباب الواعدين، وخطواته في هذا الميدان تنم عن مقدرة وتمكن يؤهلانه لاحتلال مكانة بارزة على طريق فيض أحمد فيض وأحمد نديم قاسمي ومجيد أمجد وغيرهم من المنتمين إلى السلسلة الذهبية من شعراء الأردية في باكستان.

وقد جاء تعرّف اللغة العربية على الشعر الأردي متأخرا إلى حد كبير، بل إن إقبال الذي عرفته الدنيا شرقا وغربا حال حياته – بل وفي المراحل الأولى منها – لم تعرفه العربية إلا بعد وفاته بأكثر من عشر سنوات، ولذلك أسبابه التي من أهمها الظروف التي كانت تعيشها دول العالم الإسلامي كله تقريبا في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، فقد كانت ترزح تحت نيران

الاستعمار الذي عمل بكل طاقته على أن لا يدع لشعوب هذه الدول نافذة مفتوحة قد يتسلل منها شعاع الأمل ذات يوم، فيدفعهم إلى النهوض من الرقاد والانتباه من الغفلة.

وبالرغم من هذا، فإن اللغة العربية قد سبقت لغات أخرى كثيرة في هذا المجال بفضل الله تعالى ثم بفضل المصريين الذين كانوا دائما في طليعة أبناء العروبة السباقين إلى ينابيع العلم والمعرفة، وكان طبيعيا أن تبدأ الترجمة من الأدب الأردي على أيدي المصريين، وأن يتم التعارف بينه وبين الشعر العربي بواسطتهم وفي حضورهم، ويأتي اسم الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام رحمه الله تعالى على رأس قائمة الشرف عندما ترجم أشعار إقبال الأردية إلى العربية شعرًا. ثم تتوالى الأسماء في قائمة الشرف، فيأتي اسم المرحوم فضيلة الشيخ الصاوي علي شعلان، ثم المرحوم الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصري، والأستاذ الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم وغيرهم، ومن الأشقاء العرب الأستاذ زهير ظاظا والأستاذ عبد المعين الملوحي من سوريا الشقيقة، والشاعر الكبير محمد محمود الزبيري من اليمن الشقيق وغيرهم من الجيل الرائد الذي كان أكثر ما ترجمه للعلامة محمد إقبال.

ثم وسع المصريون من دائرة تعـرفهم علـى الأدب الأردي، فحاولوا التعرف على شعراء آخرين إلى جانب إقبال مثـل الـشاعر ألطاف حسين حالي ومسدسه "مد و جزر إسلام"، أو كما اشتهر فيمـا بعد باسم "مسدس حالي"، وكذلك الشاعر حفيظ جالنـدهري ورائعتـه "شاهنامه إسلام"، ومعظم هذه الترجمات ترجمـات منظومـة، أمـا الترجمات النثرية من الشعر الأردي فكانت أكثر تنوعـا، وضـمت عددًا أكبر من الشعراء بما فيهم العلامة إقبـال أيـضًا، لكـن هـذه الترجمات في معظمها تمت في الرسائل العلمية – ماجستير ودكتوراه – داخل أروقة الجامعات المصرية في فترة لا تتجاوز الربـع قـرن بكثير، ولذا فقدت جانبًا كبيرًا من أهميتها بمجرد حصول الباحث على الدرجة العلمية التي سجل من أجلها رسالته، ويعود السبب في ذلـك إلى أن هذه الترجمات قام بها الباحثون في مرحلة سنية مبكرة، جنبـا إلى جنب مع افتقادهم – بطبيعة الحال – إلى تراكم الخبرات الـلازم للخروج بترجمة جيدة، ولذلك لا يتعرض لها أحد بالدراسة والنقد، إذ سيكون ذلك ظلمًا لأصحابها، إلا أن يعيدوا النظـر فيهـا، ويقومـوا بتنقيحها وإصدارها في كتب لعامة القراء، حينئـذ تـصبح دراسـتها وتناولها بالتحليل والنقد أمرًا لا مفر منه.

وبالإضافة إلى الشعر ترجم المصريون جانبًا لا بأس به من النثر الأردي أيضًا، سواء من الرواية أو من القصة القصيرة أو من المسرح، وسواء كان ذلك من خلال الرسائل العلمية (ماجستير ودكتوراه) في الجامعات المصرية، أو خارج هذا الإطار.

وبطبيعة الحال واجه المترجمون وخاصة من الدارسين للأردية وأدبها صعوبات كثيرة في هذا الخصوص نذكر منها صعوبات عامة تتعلق بالترجمة من الأردية عمومًا، وأخرى تتعلق بالرواية الأردية خصوصًا، ونذكر فيما يلي بعض هذه الصعوبات:

١ – حداثة تخصص اللغة الأردية وأدبها في العالم العربي بشكل عام، وهو ما أدى إلى تأخير التعارف بين القارئ العربي وبين الأدب الأردي.

٢ – ندرة المتخصصين في اللغة والأدب الأردي، وهو في حقيقة الأمر يعد نتيجة طبيعية للسبب الأول، إذ أن وجود المتخصص مرتبط بوجود التخصص ذاته.

٣ – ضعف المستوى العلمي في التخصص، ولهذا أسباب ليس المجال هنا لذكرها، ولكنها في معظمها مترتبة على كون التخصص حديثًا في الدول العربية وعلى رأسها مصر، فيفتقد المتخصص إلى تراكم الخبرات الذي يصل

به إلى الإقبال على الترجمة وإخراجها بشكل جيد، ومن المتوقع بطبيعة الحال أن يتوافر مثل هذا التراكم لدى المتخصصين بمرور الوقت.

٤ – عدم توفر الإمكانيات المادية لنشر الأعمال المترجمة دائمًا، وهو ما ينعكس في شكل قلة الأعمال المترجمة والمنشورة، والتي تيسرت لها هيئة من الهيئات التي تستطيع تحمل تكلفة الطبع والنشر. وهنا لا بد من الإشادة بالدور الذي يقوم به المركز القومي للترجمة في نشر الترجمات عن اللغات الشرقية والإسلامية خاصة، مما أعطى دفعة قوية للمتخصصين في هذه اللغات وآدابها من أجل مزيد من إلقاء الضوء على كنوز هذه اللغات وذخائرها.

٥ – الإبداع الذي يستحق الترجمة من الأردية هو الذي يفرض نفسه على ساحة الترجمة نظرًا لعدم وجود الضغوط التي تدفع إلى الترجمة عن الأردية، بعكس ما نراه مع لغات أخرى كالإنجليزية مثلاً، والتي تلقى اهتمامًا ضخمًا ليس مبنيًا كله على تفوقها الأدبي في الغالب، ولذلك لم يترجم من الأردية على نطاق واسع سوى إبداع

الشاعر "محمد إقبال"، والذي فرض نفسه على الساحة الأدبية والإبداعية والإسلامية والإنسانية في العالم، ولكن ترى كم "إقبال" لدينا في الأردية؟

٦ – الضخامة التي تتميز بها الرواية بشكل عام، الأمر الذي يتطلب جهدًا ووقتًا كبيرين، وهو ما ليس متاحًا لأغلبية المتخصصين نظرًا لقلتهم، وانشغالهم بأعمالهم الوظيفية في التدريس بجامعاتهم ، ولذلك نجد أن معظم الروايات التي تمت ترجمتها من الأردية إلى العربية أنجزها الباحثون والباحثات في مرحلة من مراحل الدراسات العليا كالماجستير أو الدكتوراه، ومعظمها في الغالب يحتاج – كما ذكرنا – إلى مراجعة دقيقة قبل نشرها على القراء.

٧ – عدم توفر جزء كبير من إنتاج الرواية الأردية لدى المترجمين في مصر، وهو ما يمثل جزءًا من مشكلة قائمة تتمثل في عدم توفر كتب اللغة الأردية وأدبها بشكل عام في مصر بغرض البيع والشراء، وهو ما لا يمكن التغلب عليه إلا باستيراد هذه الكتب من الخارج، أو أن تأتي في صورة إهداءات من الدول التي تتحدث بالأردية، أو من بعض أبنائها، والحالتان في الحقيقة في حكم النادر الذي هو في حكم المعدوم.

٨ – كثرة المصطلحات ذات الدلالة الخاصة على عادات وتقاليد معينة تحتاج إلى مترجم ماهر وملم بتاريخ وحضارة وثقافة تلك البلاد وأهلها، وخاصة أن قطاعًا ليس صغيرًا من أهل الأردية من غير المسلمين، وهو ما يحتاج كذلك إلى شرح وتوضيح يزيد من ضخامة الرواية، ويثبط همة من يريد نشرها، ولذا كان أنسب مجال لترجمة الرواية الأردية بعامة هو الرسائل العلمية إلى أن تظهر في الأفق حلول أخرى.

٩ – التقدير الخاطئ لبعض موضوعات الرواية الأردية لدى المترجمين، وخاصة فيما يتعلق بالجانب التاريخي منها، إذ يظن البعض أنه لا داعي لترجمة الروايات المأخوذة عن التاريخ العربي، باعتبار أن الأصل لدينا، وهم كتبوها لتقديمها إلى أهل اللغة. لكن هؤلاء يغيب عنهم أن لترجمة مثل هذا النوع من الروايات أهمية كبرى، وذلك للاستفادة من المحاولة ذاتها في توظيف أحداث التاريخ لخدمة غرض بعينه أولاً، وثانيًا لتقييمها وتقويمها، فقد تضم بعض الأخطاء غير المقصودة، أو المغالطات الناتجة عن تفسير خاطئ للأحداث، هذا بالإضافة إلى ما قد يشوب

صورة بعض الشخصيات التاريخية من التغيير الكلي بسبب ما تميل إليه العقلية الملحمية في شبه القارة الباكستانية الهندية من المبالغة التي قد تكون أحيانًا في غير محلها.

١٠ – ربما صارت القصة القصيرة في بعض الأحيان من معوقات ترجمة الروايات بشكل عام نظرًا لقصرها قياسًا بالرواية، فيلجأ من يرغب في الترجمة إليها، ولدينا الآن في مصر كم لا بأس به من القصص الأردية القصيرة المترجمة إلى العربية قام بها متخصصون وأنجزوها في شكل يحسب لهم، وعلى رأس هؤلاء الأستاذ الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم.

على أية حال تعرفت اللغة العربية وأبناؤها على الإبداع الأردي لدي شعراء وأدباء الأردية العظام في شبه القارة الباكستانية الهندية، وكانت فاتحة الخير كما ذكرنا على يد المصريين بالعلامة المفكر الفيلسوف شاعر الشرق العلامة محمد إقبال.

أما الدكتور زاهد منير عامر فقد تعرفت عليه منذ عام ٢٠٠٦م، حال قيامي في باكستان برفقة زوجتي الدكتورة تبسم منهاس وأبنائي دانش ودنيا، ويؤكد الدكتور زاهد منير عامر أنه

يعرفني مذ كنت طالبًا في مرحلتي الماجستير والدكتوراه في جامعة البنجاب من عام ١٩٨٨م وحتى عام ١٩٩١م، وهذا مما يسعدني بطبيعة الحال، ومما يعجبني في الدكتور زاهد لغته الأردية السلسة، ومخارج حروفه الواضحة، وأسلوبه الشيق حديثًا وكتابة والذي يطعمّه في كثير من الأحيان بالألفاظ والتراكيب العربية والفارسية، وكلها أشياء تروق لمن يدرس الأردية من أبناء العربية، ويقيني أنها تروق لمن يدرس الأردية من أبناء الفارسية كذلك، وعلاقة الدكتور زاهد بالفارسية ربما كانت أقوى من علاقته بالعربية، فهو يعرف الفارسية جيدًا، ولكني مع ذلك أعتقد أن علاقته بالعربية ستزيد قوة بعد أن قدّر له أن يأتي إلى مصر الأزهر بترشيح من وزارة التعليم الباكستانية وعلى نفقتها ليقوم بتدريس اللغة الأردية وآدابها والثقافة الباكستانية بقسمي اللغة الأردية للبنين والبنات بجامعة الأزهر، وهو ما سوف يفيد منه طلاب جامعة الأزهر خاصة، وطلاب الأردية في مصر عامة، وفي نفس الوقت سيقدح زناد الفكر لدى الدكتور زاهد ويحقن منابع شعره، ويزيده تجربة إلى تجاربه، وخبرة إلى خبراته، وسوف ينعكس ذلك تأكيدًا على إبداعه الشعري، ويصبح جسرًا بين ثقافتين عريقتين، هما الثقافة العربية من جانب والثقافة الباكستانية من جانب آخر، وإن كانت الثقافتين في الحقيقة عبارة عن مظهرين من مظاهر الثقافة الأم، الثقافة الإسلامية.

والدكتور زاهد منير عامر واحد من الشعراء الأكاديميين المتخصصين الباكستانيين، فهو أستاذ بقسم اللغة الأردية بجامعة البنجاب، الجامعة العريقة التي شرفت بالدراسة والعمل فيها، وعادة ما يغلب على الشعراء الأكاديميين المتخصصين الناحية الحرفية (بكسر الحاء وفتح الراء) التي تظهر في صورة الاهتمام بالإطار العام واللغة والفنيات المتعلقة بهما مما يؤدي في بعض الأحيان إلى تفلت المعاني من بين ثنايا القصيدة، إلاّ أن الدكتور زاهد منير عامر غير غافل عن هذا، ويحرص كثيرًا على انتقاء المعاني التي يتأثر بها هو أولاً قبل أن يتوقع أنها ستؤثر في متلقيه، وهو في هذا شاعر يميل إلى الصدق مع نفسه، ويقلّ اتجاهه إلى التكلف، ولا يسمح للنفاسة والوقار بمفارقة ما ينظم، مثلما لا يسمح لهما بمفارقة شخصيته وتعاملاته، وربما كان هذا هو أظهر ما يتميز به شعر الدكتور زاهد منير عامر، كما أنه هو السبب الرئيس الذي شجعني على الإقدام على ترجمة مختارات شعرية من دواوين عديدة صدرت له في أوقات متفاوتة أقدمها للقارئ العربي بمثابة جرعة أدبية ذات قيمة.

والدكتور زاهد منير عامر يميل حتى الآن إلى الشعر الحرّ، ويعتمد فيما ينظم على كثير من الرمز والإيحاء، ويحرص على إيراد

سياق ييسر للمتلقي طريقًا مستقيمًا إلى المعنى المراد، ويقدم صـــورًا تمثيلية وتشبيهات واستعارات وكنايات تأخذ بيده إلى أقرب نقطة من هذا المعنى، لكنه لا يعوّد القارئ على أن يمسك بأصـــابعه كالطفـــل حتى يصل به إلى المعنى، ولا يوحي إليه بأنه سيأتي بالمعنى ويسلمه له، وإنما يترك مساحة لا بأس بها لفطنة القارئ، ليصل فـــي ضـــوء المعالم التي رسمها له إلى الهدف المنشود، وهو بهذا كأنـــه يـــشرك القارئ في الجهد الذي بذله، ويطالبه ببذل مزيد منه للوصـــول إلـــى المعنى الذي يريده. والدارس لشعر الدكتور زاهد منير عامر يكتشف أن المحور الرئيس الذي يدور حوله هذا الشعر هو الحب:

الحب سيل يتسرب إلى طيات الأرض البور:
يبللها، يبدل ظلامها نورًا، وتدب فيه الحياة.
ويومًا يستحيل إلى بذرة
تشق صدر الصخور.
ويأتي طوفان، وبعده طوفان،
وهذه النبتة الصغيرة تقف شامخة في عناد
لا تعبأ بطوفان.

....

الحب زهرة

تلاطم الرياح والطوفان، وتنتصر في الميدان.

("الحب زهرة ولكن" من ديوان القصيدة تكلمني)

والحب عنده ليس ذلك الحب التقليدي الذي يكاد يفقد معناه من كثرة إساءة استخدامنا له، وإنما الحب بمعناه الشامل، حب الكون والكائنات، حب مفردات الطبيعة وتفاصيلها، حب البشر دون تفرقة أو تمييز، وفوق كل هذا حب خالق الكون ومبدعه، وكأنك أمام حب من نوع الحب الصوفي الذي يلمس شغاف القلب ويهز الوجدان، انظر كيف يوظف مفردات الطبيعة في دعوته إلى الحب وتمسكه به، ويجعل منها جزءًا لا يتجزأ من الحب:

تأمل الوقت الذي يمضي.

كل لحظة منه نجمة

لو سخرتها لصارت ملكًا لك.

كم من النجوم في يدك الجميلة !

لو سخرتها لتلألأت في مفرقك.

وتطل نجوم أخرى،

وتتزايد الأفلاك.

ولئن صادقت الضياء لعلمت أن كل لحظة للحب دليل.

("الحب اختيار" من ديوان صورتك في المرايا)

هيا نصنع عقدًا من البراعم المتفتحة على الشفاه الرقيقة،
ونقلد به أعناقنا
ونتواجه بأنظارنا،
ولنخلق مشهدًا جديدًا من الدموع السابحة في أعيننا
ونخلق عالمًا جديدًا
ونعيش الحب

(قصيدة "سنعيش الحب" من ديوان صورتك في المرايا)

ولكي ترى قيمة الحب في شعر الدكتور زاهد ربما كان عليك أن تقرأ قصيدة له بعنوان (قبل أن أحب) يقول في مقاطع منها:

قبل أن أحب كانت هذه الورود، ولكن بلا شذى،
وكان هذا القمر، ولكن بغير ضياء،
ولم يكن قلبي معلقًا بالنجوم.
كان الطقس في مدينتي حارًا
ولكن بغير دفء.
والأيام تمضي، يومًا بعد يوم
على نمط واحد، وبلا جديد.
أما الآن فعلى مدى البصر.
حياة جديدة، وأيام وليال جديدة،
وسلسلة متصلة من الربيع.

الأيام لطيفة،

والليالي ندية،

وللحديث متعة،

واللمحات مبهرة.

لم يكن هناك شيء قبل أن أحب.

(قصيدة "قبل أن أحب" من ديوان القصائد تكلمني)

والشعر الحر الذي يستوعب أكثر ما قاله الدكتور زاهد منير عامر حتى الآن جاء إلى الأردية أصلاً من الشعر الإنجليزي الذي أخذه بدوره عن الشعر الفرنسي، وهو على أية حال قالب حديث حتى في اللغات الأوروبية التي جاءنا منها، فلم يعرفه الشعر الفرنسي بشكل واضح إلا في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر الميلادي، بينما عرفه الشعر الإنجليزي بصورة واضحة في بداية القرن العشرين، ثم عرفه الشعر الأردي بعد ذلك، وإن لم يتفق مؤرخو الأدب الأردي على من هو أول شاعر نظم في هذا القالب الفني الحديث، فالبعض يعود به إلى عبد الحليم شرر متمثلاً في مسرحياته المنظومة، بينما يؤكد البعض الآخر أن مسرحيات عبد الحليم شرر المنظومة ليست في قالب الشعر الحر، وإنما في قالب الشعر غير المقفى، وينحصر هذا الأمر بين الشاعر تصدق حسين خالد، والشاعر ن. م. راشد، ويرجح – طبقًا للشواهد التاريخية –

جانب د. تصدق حسين خالد وإن لم يلق نفس الشهرة التي لقيها ن. م. راشد أو ميرا جي، نظرًا لخلو منظوماته من عمق الفكرة وقوة الأسلوب، وإن كانت لا تخلو من فكرة، ولا ينقصها الجمال دائمًا.

والدكتور زاهد منير عامر امتداد متطور لهذه المنظومة الجيدة من الشعراء، يعيش عصرًا مختلفًا عن عصرهم، ولكنه يحمل في قلبه مثلهم حبًا للغته وأدبه يدفعه دائمًا إلى محاولة الإتيان بجديد يمتع القارئ ويثقفه ويسهم في بناء شخصيته. ولا شك أن اختياري لأشعار الدكتور زاهد بغرض نقلها إلى العربية كان مدفوعًا بما لمسته فيه من معاني جديدة يمكن أن تثري الأدب العربي وتضيف إليه...

والله وليّ التوفيق

إبراهيم محمد إبراهيم
كلية الدراسات الإنسانية – جامعة الأزهر

من ديوان

صورتك فى المرايا

أقبل الآن

أقبل الآن،
فإن الطقس لطيف،
وتتناهى إلى الأسماع خشخشة الأوراق الذهبية
في ظلال فصل الخريف.
ترى من لبس هذه الخلاخيل
لهذا الرقص الزمهريري،
وأمواج الهواء البارد
تقطع مسافات طويلة،
وتطوي منازل عديدة
لتبلغني رسالة؟
فتثور حركة بين الضلوع
لا أدري كنهها.
انظر:
لقد صار الحب شفقًا،
وأمسك بالساعد الرقيق
للنور المتخافت.

أقبل الآن

قبل أن تختطف السماء الكحلية

متعة هذه الأنوار،

ويفلت الساعد الجميل لهذه اللحظات

من قبضة أمنياتي.

فى مثل هذه الأيام

في مثل هذه الأيام،

تسلل شيء إلى ما بين الضلوع.

كانت أيام نزول النجوم من السماء.

كانت أيام بدا فيها القمر في هذه العيون،

كانت أيام لاختبار شمع الروح في هذا الضياء،

كانت أيام لتزيين الألفاظ بوشاح العواطف،

كانت أيام الرضا وأيام العتاب.

في مثل هذه الأيام،

أطلقت نفسي من برجها العاجي،

وظهر الشفق، وجاء السحر، ورفرف بجناحيه طائر،

وارتفع البصر، وارتعش القدم، واهتزت فجأة السماء،

وذاقت الأسماع حلاوة الأجنحة المحلقة،

وحلّ بالأنظار جمال الأرض والسماء،

وعمَّ سحر الآمال، وغرق الزمان في الضياء.

في مثل هذه الأيام،
رقصت الأماني في كل جانب،
وبشر البحر الأصداف بتزيين مفارقها،
وبشرت الريح البحار بالتدفُّق،
وجاء الغصن المتمايل في راحتيه بوردة فواحة،
واتحد الهواء بالرحيق، والرحيق بالأماني،
وغشيت عيوني سحابة من الدموع..
في مثل هذه الأيام.

النجوم لا تسقط أبدًا

النجوم لا تسقط أبدًا..

سواء تلك التي تبدو في العيون،

أو في السماوات البعيدة،

أو تلمع في الصحاري والفلا،

أو في روضة من الرياض.

النجوم انعكاس للحب

ولا تموت أبدًا.

ونجوم عينيك اللامعة..

استعارة الشمس والقمر والأفلاك،

وأمواج الأماني،

تلك التي تحيي الكائنات

في رقص أبدي متواصل،

كلها تشع في أوردة روحي.

وتلاشت خدعة الأمس والغد في اللمحة الحاضرة.

انظر:

كم من النجوم تبرق في ساعة الحاضر الرملية..

في مفرقك،

في أشعة الشمس،

في الليالي المقمرة العامرة برحيق الأماني،

نجوم في كل مكان.

إن النجوم لا تسقط أبدًا،

قد تترنح النجوم لكنها لا تخفت

ولا تتراجع.

عندما ترضى

عندما ترضى

فلا أحزان،

وتغرق أمواج المشاكل في بحر رضاك اللامحدود،

وتغرق أوراق دفتر الأحزان

في مكان بعيد،

ويطل على الجبين صبح جديد،

وتولد النجوم وتبرق في الفضاء.

عندما ترضى

تمسك الورود الفواحة بالفرحة المتفلتة،

فتتمايل على شجرة الخلود،

ويتلاشى الأمس والغد في اللمحة الحاضرة،

وتظل تبتسم

وتغني لك .

حادثة

تناهت إلى أسماعي الرقيقة
بعض أصوات مفاجئة حملها الأثير:
كيف حالك؟ ترى ماذا أردت أن أقول؟
كنت أريد أن أقول شيئًا.
نعم، نعم، لماذا لم تأت بالأمس؟
أتعرف؟ بالأمس...
أستغفر الله... ما أضعف ذاكرتي.
لا بأس، دعك من هذا... نعم، تذكرت.
تلك الحادثة التي
جاءت في الجورنال،
ورود تتفتح في منظر مظلم،
وشمعة تضيء،
وروائح تفوح،
ووجه كالقمر يطل من بين السحاب.
لكن هل جاءت هذه الحادثة فعلاً
في الجورنال؟

الحب اختبار

تأمل الوقت الذي يمضي،

كل لحظة منه نجمة

لو سخرتها لصارت ملكًا لك.

كم من النجوم في يدك الجميلة!

لو سخرتها لتلألأت في مفرقك.

وتطل نجوم أخرى،

وتتزايد الأفلاك،

ولئن صادقت الضياء لعلمت أن كل لحظة للحب دليل.

من أنت؟

تحادثت النجوم في السماء:
ترى أي شعاع ذلك الذي على التراب؟
أنجم وقع، أم جنة، أم روضة من الرياض؟
من ذلك الذي يتوارى أمام بريقه
في الأفلاك بريقنا؟
نعم أيها النجوم، إنكم لا تعرفون!
ما أنتم إلا المريخ، والزهرة، وعطارد،
أما هذا الشعاع فهو الذي حين يشع في صدري،
تنحني المجرات منه خجلاً.
هذا الشعاع يصير في دروب الزمن المظلم
شرارة تبرق في كل الرياض.
يا شمعتي المضيئة، أنت المرشد لي والدليل،
أنت مؤنسي ورفيقتي، أنت لي كل الوجود.
شعاع أنت أم أحد ألوان الطّيْف؟
جنة أنت أم من الحور العين؟

هلا قلت لي كيف أخبر عنك النجوم،

من تكونين!

في محفل أمنياتي،

في محفل أمنياتي

يسكن رحيقك.

ورغم تلألؤ النجوم

تساقطت فوق رأسي الأمطار،

ولا يزال كتاب وجودي مفرقة صفحاته،

وحياتي مغلقة بلا أبواب.

لكن أبوابًا من الشعاع يفتحها حبي للضياء.

ذلك الضياء الذي

يغسل ألفاظي ويجليها.

الخباز

(١)

إنه مجرد خباز،
يدوي صوته كما يدوي الناقوس.
أتعلم
أن هذا الشخص يذوب في قمر،
لكن قمره يتجلى في بيت شخص آخر؟
الخباز

(٢)

وعند دكان الخباز
قال لي ساحر فاشل:
عند هذا الخباز الطاعن في السن،
تلك الأوراق
التي دونت فيها حياتك وحياتي.
الخباز

(٣)

وعلى ناصية حارة دكان خباز،

والماء يجري في الحارة منكس الجبين،

وهناك منعطف.. وبعد المنعطف منزل،

ولافتة على باب المنزل العنبري،

وعلى اللافتة حروف منقوشة لإسم مخفف..

وكنت أواصل سيري مرددًا هذا الاسم.

والآن أسأل نفسي:

هل كان المنقوش اسمًا مخففًا، أم حروفا بلا معنى!

سنعيش الحب

كلا،

لن نغضب بعد اليوم،

ولن نوقف طريق رسائل الحب القادمة من السماء.

كلا، إننا

سنستمع لتغريد البلابل على الأغصان،

ونشاهد مناقيرها وهي تتسلل كل لحظة إلى قلب الورود،

وسنقرأ كل أمل مرسوم على كل وجه جميل في الصباح،

وسنفوز بالقمر في سفر النجوم،

ونعيش الحب.

هيا نصنع عقدًا من البراعم المتفتحة على الشفاه الرقيقة،

ونقلد به أعناقنا،

ونتواجه بأنظارنا،

ولنخلق مشهدًا جديدًا من الدموع السابحة في أعيننا،

ولنخلق عالمًا جديدًا،

ونعيش الحب .

الأميرة جرادة

"أميرة صيدون"

قال سليمان: انظري!
كل ما رأيته جميلاً من قبل،
تيسر لك أضعافه.
فأنا أحبك،
والحب نهر رقراق يغسل الأحزان،
وإذا هلّ الضياء
تلألأت الأحجار،
وأصدرت مزيدًا من الضياء.
فما هي أحزانك هذه التي
لا تغسلها أنهار الحب،
ونور الحب؟
لا أشعة في الصباح المنفلق،
والأميرة الصبوحة تنظم عقودًا من الدموع.
يقول الضياء مبتسما لكل سليمان محب:
إن مصباح الحب لا يضيء إلا في قلب واحد.

صورتك فى المرايا

هي تلك التجربة التي
لا يحدها مكان،
وساحل بحر الزمن
(الذي يجري منذ الأزل)،
هو بحري الذي لا يحده زمان.
وهذه الصور والوجوه والألوان
التي تحيط بي في كل مكان
كلها مرايا،
(وصورتك في كل المرايا).
وهذا الرحيق الذي
يفوح من الورود،
ويتسلل إلى روحي،
هذا الرحيق المضئ
يغمرني نورًا.
وذلك البرعم الذي تفتح،
أفترش ذلك الطريق الذي
تأتيني متهادية عليه ذكراك.

دعـــاء

فلتبق النجوم في عينيك

مضيئة أبدًا.

ويواصل ذلك النور فوق شفاهك الوردية

إشعاعه وشروقه.

ولتبق جميلة

تلك الأقراط اللامعة في أذنيك.

وليفوح الشذى

في رياضك إلى الأبد.

ولتبرق هذه اللآلئ دائمًا

في طرف طرحتك.

وتتسلل أشعة نورك

إلى كل الأرجاء.

ولا ترى عينيك سوي الأحلام،

وتفوح الألفاظ على شفاهك بالعبير،

ولا يزول أبدًا

جمال عارضك،
وصوت أساورك،
والحب في قلبك.
ولتبق دائمًا...

عون الحياة

من ديوان

القصائد تكلمنى



ما غرك بربك الكريم

غشاوة

تحول دون وضوح معالمها،

وإلا فإن الجمال ليس من ملامحها.

هذه الدنيا

عجوز

تزين قبحها ببعض البريق

من الزمن سريع الخطوات،

والأيام الداخلة في غياهب الظلمات،

والينوعة في عروق الوريقات،

وبعضًا من الدفء والبريق،

وتجلس على قارعة الطريق،

تبتسم لكل مسافر قادم،

تدعوه إلى نفسها،

تلفه في أحضانها العاهرة.

وما أن تضع شفاهها فوق شفاهه العنابية

حتى يلين ويغوص في أحضانها.

وما امتصاصها

للحرارة في الشفاه

سوى هواية أزلية.

فالعجوز تحتاج

لملء بطنها الخاوية المتهدلة.

لكن المسافر لا يدري شيئًا.

إنه مسافر.. وإن كان بصيرًا .

شكرًا أيها الحب

كنت شجرة وحيدة
في قيظ الشمس تحترق،
والزمن يمضي ويسير
بلا تغيير.
نادرًا ما كنت تظلل سمائي سحابة.
وذات يوم،
صادقني السحاب،
ظلل سمائي.
نظر إلي
وغشيني بقطراته،
فانتعشت أفكاري،
وتناهى إلى سمعي
صوت طرقاته،
وتراءت لعيني الأحلام.
شكرًا أيها الحب..

كلا، ما هكذا يقولون

كلا، ما هكذا يقولون،

فالنجوم زينة لوسع السماء،

والورود العطرة جمالها على الأغصان،

وحرارة الشمس تدفئ الأيام.

ذلك الذي تزين به أعتاب قلبك،

وتكون له، ويكون لك،

ذلك الذي تجلسه في الأعالي عند السماء

قد يسقط بنفسه، ولكن لا تسقطه أنت.

فأنت تعلم أنه حين يقترب الضياء،

ويصير قاب قوسين أو أدنى،

عندئذ تكون الساعة.

كلا، ما هكذا يفعلون.

كلا، ما هكذا يقولون.

فصل ممطر بالأصوات

استفسار في لهجة مترددة:
لم أصبح موسم الأصوات ممطرًا هكذا؟!
أمن حزن أصابه؟
أم هو التعب والنصب؟
أم أن الطبيعة تتجنب أن تمد له يدًا؟
قل لي: لقد قضيت أيامًا بغيرنا،
فكيف كانت هذه التجربة؟
تلك اللحظات التي تتوارى في ظلمها ملامحنا،
ألا تزال تلك اللحظات تعود ثانية
وتجدك صامتًا.
هل يخفق قلبك
كلما قبض العدو المتوحش في الحواديت
على طائر الحب؟
هل يخفق قلبك وينبض؟
إن صوتًا يتناهى إلى مسامعي،
ورعشات صوتي
هي سبب تموجات ذلك الصوت!

إن شئت

إن شئت،
تواصلت أنهار الحب،
وظل الوقت يرقص في كل موجة من أمواجه،
وحل النور في طيات القلب،
وتقدم كل صباح جديد على ما فات ومضى،
وتواصل تفتح الزهور والورود.
وعندئذ،
لا تدع الصبح الجديد،
ولا النور الذي حل بالقلب، ولا أمواج الوقت
تتوارى وتختفي.
تقدم أنت أيضًا،
ولا تدع ألوان الحب تبتعد
عن سماء القلب.
تلك النجوم التي أضاءها الحب
لا تدعها تفقد أنوارها .

شمس الحب

يمضي نوفمبر،
وتقصر الأيام وتنكمش،
وترتعش الأيدي
قبل حلول ديسمبر.
وبدت الألفاظ بوشاحها الأسود
تتعرج كغصن فوق قرطاس أبيض.
هذا الغصن هو الحاضر، هو المستقبل،
وامتد من الأرض إلى السماء،
واستحال إلى أشعة تتخلل الأغصان،
وتنشر بين العالم الضياء.
لقد أشرقت شمس الحب في ديسمبر،
وتفتحت قلوب البراعم الصغيرة
في شمس الحب.

لحظة انتعاش بلا قرار

اسمعي أيتها الأوراق!

اسكني قليلاً!

أوقفي ارتعاشك!

فإذا كنت تنصتين لما يقوله النسيم،

فاسمعي هذا الصوت أيضًا.

ستخلد لمساتي هذه اللحظة من الانتعاش.

انتظري، فإن ساعة الضياء منعشة الروح

في انتظارك،

وسواء بقيت في مرمى الريح

أو غيرت وجهته

فإن هذا من شأنك،

لكن الحديقة والورود رفاق لك.

غرة على الجبين

إن كان صعبًا أن أعرفك في زحام المدينة

فهذا ليس مستحيلاً.. ليس مستحيلاً.

وما هذه النجوم المتلألئة في عينيك سوى استعارة

أنزلها السحر من السماء بعد أن استحالت نورًا،

فإذا تلألؤ الزمان كان من أحلامك،

وطلوع صبحنا

إشارة إليك،

والغرة على جبينك.

ليس صعبًا أن أعرفك في زحام المدينة.

النور والضياء والصباح

في الأنوار،

أو الأسحار،

أو خيوط ضوء القمر،

لا تنقطع ابتساماتك فوق شفاهك،

والحياة تتراقص في عيونك الجميلة.

تلك الحياة التي تتهادى مبتسمة،

عندئذ يخفت

النور والضياء والصباح،

والبراعم، والورود، والأغصان الموردة.

لا أجد في صحن بيتي بين هذا كله ما يشبهك.

الحب زهرة ولكن...

الحب سيل يتسرب إلى طيات الأرض البور:

يبللها، يبدل ظلامها نورًا، وتدب فيه الحياة،

ويومًا يستحيل إلى بذرة

تشق صدر الصخور،

ويأتي طوفان، وبعده طوفان،

وهذه النبتة الصغيرة تقف شامخة في عناد

لا تعبأ بطوفان.

تواجهه قائلة:

الرداء ردائي، وشقه من حقوقي،

ولن يمنعني أحد من التفتح.

وتنهزم الرياح،

ويخضع الزمان،

وفي النهاية

يثمر هذا الغصن الرقيق.

الحب زهرة

تلاطم الرياح والطوفان، وتنتصر في الميدان،

إلا أن خلودها،

إلا أن بقاءها،

لا يعدو سفرًا من نصر التفتح إلى هزيمة الذبول.

ويتسلل الهواء إلى الأغصان،

ويهمس إليها قائلاً:

الحب زهرة ولكن...

مصيرها إلى الذبول .

مصباح النفس، مصباح الحب

(١)

لئن رحل
فلا تناديه،
ولكن لا تخرجه من قلبك.

(٢)

فما خرج من القلب دخل القلب.
هكذا تعلمنا.
ولكن ما هذا الذي حدث؟
فلا شيء خرج، ولا شيء دخل.

(٣)

تلك الشعلات التي كانت متوهجة في القلب حتى أمس
أخمدها برود العالم،
لكن لا يزال مصباح يشتعل إلى الآن.

(٤)

مصباح الحب مضيء في أعماق القلب،
وكل شيء ضاع وانتهى أمام الأعين.
وصار مصباح النفس ضيفًا للحظات،
ومصباح النفس هو مصباح الحب!

(٥)

الحب تصور وتخيّل وتأثر
يفوح عبقه مثل نبتة صغيرة،
ويستحيل الصياد العجوز والمقص في يده
إلى سيف يلمع فوق هذه النبتة .

قصيدة للأيام المقبلة

لأنشد قصيدة

تتفتح فيها الورود!

لأنشد قصيدة

تتلألأ فيها نجوم تلك الأيام،

تلك الأيام المقبلة،

والتي ستتحرر من قبضة اللحظات، وتتحكم في الزمن.

لأنشد قصيدة

تمتلئ نورًا!

تلك الأشعة التي خرجت من مقلتيك

تكسو السماوات والأرضين،

والنجوم والمجرات

برداء من الندم أسود،

ويحل نور حدقتيك،

ويصير نورًا

في ظلمات مشارقي ومغاربي.

لأنشد قصيدة

تمنح صوتيَ انتعاش الأحزان،

وتعرّف أمواجه الرقيقة على التلاطم والهياج!

لأنشد قصيدة

تبرق فيها صورة الأيام المقبلة،

ويشرق فيها وجهك مسرورًا!

وليبق جبينك منيرًا، وعيناك متوهجتين،

ولترتسم الابتسامة الحلوة على شفتيك!

قبل أن أحب

قبل أن أحب
لم أر حسنًا في أي مظهر من مظاهره،
ولم تسقط أشعة من تلك العيون المشرقة
على هذه المرآة
حيث تحيط بها النجوم الآن.
لم يكن هناك احتمال من قبل
لأن تأسرني تموجات ضفيرة..
قبل أن أحب.
قبل أن أحب كانت هذه الورود، ولكن بلا شذى،
وكان هذا القمر، ولكن بغير ضياء،
ولم يكن قلبي معلقًا بالنجوم.
كان الطقس في مدينتي حارًا..
ولكن بغير دفء.
لم يكن هناك دفء، ولم يكن هناك حب،
ولم يكن حديث الناس
يعني لي شيئًا.

والأيام تمضي، يومًا بعد يوم
على نمط واحد، وبلا جديد.
أما الآن فعلى مدى البصر
طرق جديدة،
حياة جديدة، وأيام وليال جديدة،
وسلسلة متصلة من الربيع.
الأيام لطيفة،
والليالي ندية،
وللحديث متعة،
واللمحات مبهرة.
لم يكن هناك شيء قبل أن أحب.

لكن الأحلام لا تموت

الدنيا مثل بلدوزر
يسحقني كل يوم، فأصير مفلطحًا،
وبسبب عماها وقسوتها وتحجر قلبها،
لا يبقى مني على الطريق
سوى عدة خطوط.
ثم تنهض هذه الخطوط ثانية وتتماسك
بين عجلات السيارات المسرعة،
وبين أقدام المشاة،
تمامًا كما يحدث في أفلام الكرتون المضحكة،
أو كما في الأحلام.
وتحلّ هذه الخطوط في كياني،
ثم تحيا وتتحرك وتتقدم وتأكل وتشرب،
ولا أدري من الذي يخبر العجلات والإطارات العريضة ثانية عني،
فتتقدم مني ثانية، مسرعة، صارخة،
ثم...

لكني أحيا من جديد،

وأتحرك وأسير وأستيقظ وأنام،

وأتقدم دائمًا للأمام.

أما الدنيا فما هي إلا بلدوزر...

ظلال من أحضان القيظ

(١)

كل غصن ينمو
يمضي في الأرض بداية عدة أيام،
ثم إما أن يتلاشى في جذع ما،
أو يثمر ويحمي ثمره من الرياح.
ثم يسقطه أسفل منه.
وسواء كانت قوة النموّ أو غصن الشجرة أو الوردة،
كل له لونه وهويته.

(٢)

وذلك الذي يسقط الثمر أسفل منه،
هو غصن كذلك.
لكن هناك غصن
سيصير شجرة باسقة
ذات ظلال.
أنت تلك الشجرة ذات الظلال

التي ترعى الظل رغم وقوفها في وهج الشمس،
ذلك الظل الذي يحتاجه كيانك الغض،
هذا الكيان الذي جاء بنا إلى ظل السحاب،
وأصبح شجرة كثيفة الظلال
ينثر الحب فوق الرؤوس،
ويوزع الظلال
بينما يصطلي هو بِحرِ الشمس.

(٣)

أولئك الذين يبشرون بالظلال في أحضان الشمس.
أولئك الذين يمثلون مظلات فوق الرؤوس التي تلفحها الحرارة،
هؤلاء لا ينتهي دورهم أبدًا،
ولا تزال الحرارة حتى الآن، ولا يزال القيظ حتى الآن،
ولا يزال عليك يا قطعة السحاب أن تتحولي إلى حب وتمطري.

شعلة الصداقة

بيني وبينك

علاقة حديدية،

ولكن هذه العلاقة الحديدية

ينقصها دائمًا شيء ما،

إذ أن قسوة الحياة ووحشيتها

في هذه الأيام النارية

تذيب الروابط الحديدية.

إن شرارة الصداقة

تراقص في قلبي.

شرارة الصداقة

تستحيل إلى نيران،

وتستحيل شعلتها

إلى عصا موسوية سحرية،

وتمحو في لحظات

كل أثر لمظاهر الظلم

والتفاخر بالظلم

في أفعال الفرعون رمسيس.

وتظل قسوة الحياة

تغير من شكلها وصورها،

ويزداد القيظ حدة.

وببحر الزمن،

وبأمواج المياه

تأتي قسوة السماء

لتطفئ الشعلات الراقصة

بعيون الغيظ والغضب.

إن الصداقة إعصار

يتحكم في الشرق والغرب،

ولا يستطيع أحد

أن يوقف خطواته السريعة.

الماء والنار

من معالم الصداقة.

إنما هي التي

تخرج أمواج النور

من ظلمات الظلم.

شعلة الصداقة

تتراقص في قلبي.

إنما هي السحاب، وهي الهواء كذلك.

اربطوا أجنحة الطيور بخيوطكم

قل لجيب الصبح الجديد:

هذه الأشعة الذهبية الغارقة في النور

تغطي الشفق منذ الأزل

في تسلسل لا ينقطع،

وكل الثواني التي يحتويها الزمن،

وكل الزوايا الكامنة في الأودية الجميلة

كلها غزل فيه.

الغزلان تتقافز،

والطيور تحلق

وتتزاحم في صدر الشاعر.

يا أصحاب الجيوب!

اربطوا أجنحة الطيور بخيوطكم!

تجربة الفراق

اسمعوا، ليست هذه تجربة فراقكم
فهناك بحر كامن في ظلال الحواجب المقوسة
وعينك التي يسكنها صمت طويل
تعكس مواسم وفصول كثيرة،
وبها رقص لا يتوقف.
هذا الرقص الذي
يرمز إلى الحديث المتواصل.
هذا هو حلمك،
ألفاظك المتحررة من الشفاه الرقيقة
تصل إلى مسامعي،
وتمنح حلاوة الطعم لكل ما حولي،
وتجد لنفسها مكانًا في العيون،
وتسكن القلب،
ثم تقول لي:
اسمع، هذه ليست تجربة فراق.

القيظ وديسمبر وهذه الحياة

ذات يوم ذهبي

بلونه الصافي وأشعته الصافية..

التقينا.

كم من التنوع،

وكم من أشكال الحياة

كامن خلف هذه الألوان!

وهناك تلاطم في القلب

بعيد عن حدود الأعين.

وتلك الحرارة في الباطن

يمكن أن تتسلل إلى الحديث أيضًا.

وذلك اللون في المواسم

يمكن أن يمنح العيون بريقًا.

وعبير الورد ورائحة الخضرة

يمكن أن تعطر معبد القلب.

لكن تلك العيون، وذلك الكلام، وتلك الوجوه

المستغرقة في أحزان الغد

كلها صامتة.

تفتحت الورود، وغاب العبير،

وتلاشت الحرارة، وديسمبر، وهذه الحياة بداخلها .

قبل الحب بلحظات

أيها الوقت الجميل، انتظر قليلاً
دعني أقول لك شيئًا..
إن حسنك وجريانك وصمتك،
هذا الجمال المجسد، وهذا الغموض الممتع، وهذا النهار المشرق،
وفوق هذا،
ذلك الشعاع الذي يتسرب من النوافذ،
وآلاف الذرات تسبح فيه راقصة..
هذه هي الصورة قبل أن أحب بلحظات.
إن كل الضياء الذي ستلقي به في حجري،
هذا الضياء صامت كامن في أحشائي.
هيا أيها الوقت
أيقظه، واجعلني أذوب فيه.
لا أدري، لماذا تتهرب مني؟
أيها الوقت الجميل، انتظر قليلاً.

قصيدة غارقة فى النوم

توقف السحر

وأمسك بالأذيال السوداء للليلة الفائتة وسألها:

إن أقدامي ترتعش،

فلماذا تلفّ الأحزان صوتك؟

أنت التي اخترت الأحلام في العيون،

وتألقت نجمة على طرف طرحة الليل الباهر المشرق.

كانت هذه سماء الخيال.

أنت التي أنزلتني من العلياء،

والآن أتقدم نحو مقتلي بخطوات مرتعشة،

والسكرة تزول شيئًا فشيئًا من العيون،

وضعفت طاقتي وقلت سيطرتي،

وأخذت الأحلام تتناثر.

أخبريني، لماذا هذا التحول والتراجع .

رقص الغابة

(١)

نظرت محني الرأس في دلال
بين الأغصان المتمايلة الفواحة
ناحية البراعم الخجلى
حيث كان أب يقول لابنه:
لئن رقص الطاووس في غابته
فمن يا ترى يرى رقصه هذا،
وهناك غابة وراء غابة،
وهناك دنيا وراء هذه الدنيا؟.

(٢)

وعلى الفور تراءت للأنظار كرة ذات ألوان سبعة
تتقدم إلى الأمام مسرعة براقة
وتوقظ بألوانها الأقاليم السبعة،
وخلف كل الألوان صوت قهقهات.

(٣)

ولا تزال الحروف حتى الآن لا تريد الانفصال عن الشفاه.

هذه هي دنياي، هذه هي غابتي،

ولا أدري حتى الآن

ومنذ بداية الحياة

إن كنت أرتعش من متطلبات الحياة في هذه الغابة أم أرقص!.

والأشعة اللطيفة تسأل الخضرة الفواحة:

لئن رقص الطاووس في غابته

فمن يا ترى يشاهد رقصه هذا؟ .

صداقة الهواء مع الماء

هناك بعض المسافرين
الذين ترافقوا منذ الأزل
خرجوا ممتطين عربة الأرض،
رفع الهواء كلاً من النار والماء من التراب،
ثم تماسك ونظر
فأعجبه تواضع الماء
فحمله على ظهره،
وصعد به من الأرض إلى الفلك.
ثم نظر إلى هذه الدنيا،
ونزل الهواء، إله الحب،
نزل من الفلك، وحط على الأرض،
وأحال القطرات المتناثرة إلى لآلئ، ثم سألها قائلاً:
يا نتاج حبي،
أخبروني، هل أعجبتكم هذه الدنيا؟!
أكان الحزن على فراق الهواء

أم الخوف من الأشعة الثاقبة السريعة للشمس المشرقة،

ذلك الذي أدخل الرعب قلب اللآلئ الصغير.

كلا، فإني

أخاف من ورود البستان.

من الأوراق الحسان، من الأغصان،

من الفرش المخملي الأخضر.

أخاف

من تلك الخطوات المتلاحقة للحظات الماضية،

من تلك العيون اللامعة،

من تلك الأيدي التي

ليس بها خط حيّ أصيل،

من خطوط الألفة والحياء.

أقبل أيها الهواء

احملني،

هذه الروضة المليئة بالورود لا تعجبني.

لنعد إلى الأفلاك، إلى الحرارة اللافحة.

هيا نسير على نفس الطريق، فإن كانت غايتي هي الذوبان،

وإن كانت هذه هي النهاية المحتومة،

فماذا سأفعل؟

وهل سأستطيع أن أشرق

على الحياة القاسية فوق الأرض

بعد أن أستحيل إلى دموع في عيون الفلك

وأتخفى في شكل نجمة؟

أقبل أيها الهواء.

البالونات السابحة فى الفضاء

بالونات سابحة في الفضاء،
عهد جديد، وإدارة جديدة.
إنه احتفال للسعادة والألوان،
احتفال بالعهد الجديد.
انظر إلى كل ما يمكن أن تراه
من دماء تسير في العروق،
وروائح الحريات في الفضاء.
ارفع راية الحريات،
وانفخ الوجنات، واحن الرأس،
واعزف نغمات الأحزان قدر ما تريد.
وسواء ارتفع الصوت أو انخفض اللحن
فلن يأتيك جواب!!
هذه لعبة المواشي،
ليس فيها قوي سوى خشب الصحراء
الذي كتب له أن لا تمسه يد،

وعلى سطحه ثلج كثير.
هذا الأمس واليوم والغد
ليس سوى غشاوة وحجاب.
الشعب والقانون والإدارات
كلها في مرمى هذا الترتيب
بالونات تسبح في الفضاء .

الفناجين تمتلئ بالخوف

في الخلفية شجر كثيف الظلال،
والعشب أسفل الجدران،
وجسم النهار المشرق
يتقدم بخطى واثقة ومشية هادئة،
وهرّة جميلة صامتة
تسير على فرش كالحرير
تنظر فجأة إلى أحد الجدران،
ثم تقفز في لحظة
فتصل إلى الجدار في قفزة رشيقة
بشجاعة ونشوة.
تجمّل بياضها، تزيح سيارة الزمن جانبًا،
وتواصل بريقها.
وعصفورة أصغر من الكف
بجناحين أزرقين وعينين زرقاوتين
تسبح في الفضاء الواسع،

وبينما هي تطير
إذ رمقت بنظرتها غصنًا رقيقًا
فتزيح عجلات الزمن
وتتأرجح عليه للحظات.
ولما سمعت رفرفة جناحيها
بدت عينان متوحشتان
في لفة رقيقة من الصوف،
وغاب البريق واللمعان كله.
خافت العصفورة، وغيرت وجهتها
ونزلت إلى أسفل، وتقدمت إلى الأمام،
ثم غرقت تلك العينان المتوحشتان
في لفة الصوف الرقيقة ثانية.
أهاتان عينان أم فنجانان؟
ليس فيهما الآن سوى الخوف.
وخلت فجأة خلفية الخضرة
من لفة الصوف تلك.
وحيدة وحيدة، وصامتة.
ويمتلئ الفنجانان خوفًا

كلما سمعتا وقع أقدام لقوي،

ويبقى مشهد كل ضعيف

خاويًا خاليًا،

وأسأل نفسي متفكرا:

أهذه هي الدنيا؟

تطوف بى ذكراك

أيها الزمن السائر، لا تتوقف

واصل مسيرك، وامض في سبيلك

حتى تلتئم جراح هذه السلسلة المتواصلة من التعقيدات والآلام،

وتشرق أيام جديدة.

أعرف أن الأيام القادمة لها آلامها أيضًا،

وشموس الأيام

تستقي نورها من شدة الألم.

حتى القمر الطالع ينحني من أحزان الليل البهيم،

والطيور تعود إلى أوكارها بكل ما عانته من قسوة النهار

إلى عوالمها المهترئة.

فاطو بساطك، واتخذ طريق الأبد، وواصل مسيرك،

فليس هناك وقت

للجلوس هنا وجمع الخزف..

أماني القلب المحطم

التي لا تبدو لأحد.

أنت أيضًا ليس لديك وقت،

ولهذا لا تعود إلينا ثانية،

وإنما تطوف بنا ذكراك فقط،

فالحب لك قليل.

وهذا هو الشيء الذي يصعب استساغته.

أيها الوقت السائر، لا تتوقف، وامض في سبيلك.

ترى متى يطلع الصباح؟

هلّ عالم من النور

متسللاً من النافذة الشرقية

على عيون ناعسة

وتراقص أمامها،

واستيقظ بريق الأحلام في العيون النائمة،

ومنحت أشعة النافذة الشرقية المستغرقة في الرقص

البهجة لأرض المشارق.

فمتي يا تري يطلع النهار في أرض المغارب؟

ليت دعاء الأوراق يستجاب

ما أظلم هذه الليلة!

ترى متى يطلع القمر

ويغشى الضياء الأشجار،

ويسطع النموّ على الأنحاء،

وتتوقف الساعات الشاهقة،

وتتوقف الأمواج في الأنهار،

وتتفتح البراعم الصغار،

ويستجاب دعاء الأوراق،

وينتهي سريعًا زمن الفراق.

غير متاح حاليًا

ذلك الباب الذي

تنهال عليه منذ أزمان بعيدة طرقات ضعيفة..

قابع في ظلمات صمت مهيب،

ولا قطرات على مصارعه.

إنه ذلك الفرات الذي

لم تطفئ مياهه نيران الظمأ على شفاه العطشى،

ولم تبلل قطراته أي شفة في اللحظات الحارقة،

(ولم تصبح الدموع درا).

منذ متى والفلك يرتدي لباس الأجواء السيئة؟

وأي سرّ هذا؟

أيهما أعظم سرًّا..... الموت أم الحياة؟

ذلك الذي أخفاه على الملأ في مهارة!

أما من أحد يخبرني

ماذا في ذلك الجانب!

الجانب المختفي

عن الأسماع، عن الأبصار.

وتعلو أصوات الطرقات المشتعلة على سواحل الفرات،

لكن صوتًا واحدًا يأتيها:

طرقاتكم العاجزة لا تلقى جوابًا الآن .

مضى زمن طويل

التحفت الأماني برداء الأحلام،
وتوارت النجوم خلف الضباب،
وخاصم القمر الضياء.
وفي صحراء ما يقف جبل،
يقف على الأرض
كأعشاب يانعة أنبتتها أمان كثيرة
وطئتها أقدام الحسرات الحديدية.
لقد مضى زمن طويل
على ذلك الجرئ القويّ
الذي زيّن شعر الجبال الجاف،
لكن في عيونه
زينة هذه الضفائر
وطغيان الأماني.

لم يمدّ النسيم يدًا

مضى زمن طويل

منذ أخذ النسيم يبحث عن الورود

في فصل الخريف، وفي زمن الربيع، وفي الأيام الصفراء للأوراق المتساقطة،

واللحظات الساخنة الفاترة الذائبة،

فلا تفتح ولا ينوعة،

إنما أحزان، أحزان ليس إلاّ.

وذات يوم حين عثر النسيم على الورود

استحالت اللحظات الوردية إلى بشائر للأفراح،

وأذيال الحب الجميلة تفوح عطرًا.

أكان ذلك نورًا، أم وردًا تفتّح على الشفاه!

لكن النسيم لم يتقدم ولم يمدّ يدًا،

ولم يُقبِّل الخدود الوردية،

ولم يضع شفاهه على العيون المشرقة،

ولم يحتضن العنق الوردي.

كان النسيم صامتًا أسقط في يديه

خوفًا من أن تبعد قبلته الطراوة من الورود،

ويتعكر صفو العيون الرائقة،

ولا تتساقط ورود الشفاه الغضة،

ولا يحزن ضوء القمر .

لحظة مشرقة فى أيام متغيرة

منذ متى تنتظر الرعايا
ظمأى على حافة بئر الظلم،
على أرجوحة الحياة.
فاللعبة لعبة الأقوياء،
وكلما خرج من البئر
دلو ماء
(كان مجرد سبب للحدوتة)
كانت رافعات الماء تدور،
وتبقى الشفاه يابسة،
والعيون مبللة،
فكيف ينتصر الرعاع؟
أكان ذلك دوران الرافعات؟
أم تغيّر الأيام!
(ذلك أن اليوم يتغير بداخل الزمن)

وأيًا كان سبب الظلم
أصبح الظلم نفسه سببًا
يوقظ العدل
ويستدعي شجاعًا،
ويقطع الحبل الطويل من بدايته،
ويترنح الظلم،
وينطفئ ظمأ العطاشى
والظمآنين،
ويهتز زمن جديد
ويتقدم إلى الأمام
بخطى مسرعة،
وتخجل الحياة وتستحي
وتتراجع إلى الخلف.

أسف لفقدانه فى الطريق

ذلك الذي كان مكتوبًا على وجهي
سقط في مكان ما في الطريق وضاع،
وهأنذا أبحث عنه وأتفقد أثره،
ولكني لم أعثر له على أثر.
في الحقول اليانعة والأسواق والشوارع،
في مكتبي وعلى منضدتي وفي الملفات،
لا شيء يدلني على ما ضاع مني.
تفحصت الأوراق في الأدراج،
وفحصت كل طية من طيات فراشي،
بحثت عنه في أنظار الآخرين،
لكني لم أعثر له على أثر.
ولم يعد الآن سوى العيون الغاضبة،
والجباه التي يغطيها العبوس،
ولا حياة أو ضياء في الأصوات.
وافترقت الرقّة عن أوراق البراعم،

ذلك الذي رحل عني كان يعيش بداخلي.

والآن لم يعد وجهي هو وجهي،

لقد سقط في مكان ما وضاع .

معان بلا معان

أين أنا، وأين الحياة؟
أين المكان، وأين اللامكان؟
كانت الساعة الرملية تبرق منذ قليل،
ولم يمض وقت يذكر حتى الآن.
كل الوجوه تلمع،
والمناظر الرائعة تنطق شعرًا.
كيف غشي هذا الصمت المكان الآن
فقضى على البريق، وأطفأ نور السحر؟
وكل المعاني الجميلة
تهاوت من عليائها في لمحة واحدة،
والعيون تنظر في دهشة وحيرة!
ليتني أشعر بالسكينة!
لكن من يستطيع أن يقول:
إن النافذة التي فتحت بُعد المعاني نافذة موثوق بها،
حيث تناثرت المعاني

وصارت لا شيء، بعد أن كانت كل شيء،

وأحال أوراقها هشيمًا!

أمات قلبها،

وألقى بها في ازدراء

كعيون متعبة

محرومة من الضياء،

ولا عجب إن تهاوى عبء المعاني

من عيونك.

مصير الزهور فى أيدى الرياح

مصير الزهور في أيدي الرياح،
إن أرادت أرقصتها،
وإن أرادت أضحكتها
فتتعطر الحياة كلها بالأنفاس العطرة.
وإن أرادت
أحالت أوراقها وجهًا شاحبًا،
وقلبًا باردًا تذروه الرياح،
فترفع النظر من الأرض إلى السماء
كعيون متعبة لا تكاد ترى،
وتسحقها أقدام العابرين
مدوية ضحكاتهم،
ويسحبها الكنّاس بجاروفه
ويودعها صناديق القمامة.
فماذا لو راقص الهواء الزهور
ورسم على وجهها ابتسامة!
إن مصيرها يومًا
إلى الذبول.

أنا شجرة في صحراء

تظل الأغصان في خطر

قبل أن تصبح أشجارًا،

فتصفعها دفعة هواء،

ويلفحها لهب الشمس

في الصيف القائظ،

وأحزان السحب الممطرة

تتقاذفها في دوامة بحر الموت والحياة.

ولكن في يوم من الأيام

هذا الساعد نفسه

يعترض ذراع الريح والطوفان،

ويتحول إلى نسيم

يمنح السكينة والطمأنينة،

وينثر المحبة في كل جانب،

ويصبح غصن زيتون فاتحًا أحضانه

يمنح الأمان في كل لحظة طوفان.

يتماسك بصعوبة،

ويتزين بالحب،

وتعم فيوضه الطيور الصداحة،

حتى النمل والحشرات تنعم بفضله،

وهو يمنح الحب ويتعارك مع الأعاصير ويحترق من القيظ

بلا ملل أو كلل،

لكن النمل والحشرات التي تربّت على فضله

تظل تنخر فيه تدريجيًا.

وأنا شجرة في صحراء،

تحيط بي في كل مكان

حشرات العثة وتستهدفني،

أما الطوفان فإني لا أخافه.

الحياة الذائبة

كلام مكتمل، وآخر غير مكتمل،
فنقطة ضعف الإنسان هي الكلام:
أنا بخير، وكيف أنت؟
ليتك أنت أيضًا بخير!
ليتني أنا أيضًا بخير!
طلع النهار فكان المنظر عجيبًا،
سيل من النور يجري،
وتدريجيًا أشرقت الشمس،
وانتشر الدفء وذابت الحياة،
وجرفتني الأمواج أنا الآخر،
وضِعْتُ في موجة كاسحة،
وكنت أنت أيضًا في ظروف أصعب.

كل تلك الألقاب الممتلئة حبًا،

العبير والورود والربيع والنجوم،

والأغصان المتأرجحة تتدلى قطوفها،

وعلى شاطئ الحياة

نتبادل التحايا.

الآن لم تعد هناك فراشة ولا يراعة

ولا عصافير وبلابل، ولا يمام وهداهد،

ولم يعد في الحديقة زهور،

وفقد الحديث عبيره،

وفقدت العواطف تدفقها.

نفس المشهد ونفس المنظر!

ولم تعد في العيون أحلام!

من قبل كان كل شيئ في قلب واحد،

والآن ضاع هذا القلب في كل شيئ!

أين الوقت الذي أتذكرك فيه!

ومتى تفرغ أنت لتتذكرني!

فأنت لا تدري كيف أصبحت أنا،
وأنا لا أدري كيف أنت!
كيف أكتب لك رسالة؟
ولمن أكتب رسالة الآن؟

لماذا خلت من العطر الزهور؟

الليل خلا من القمر،

والنهار خلا من الضياء،

والجباه محرومة من النور،

والقلوب فقدت الأماني،

والأشجار صامتة والأغصان ذابلة.

لماذا خلت من العطر الزهور؟!

لم أنس تلك الأيام حتى الآن...

لم أنس تلك الأيام حتى الآن،
تلك الأيام التي وقع فيها طائر القلب في المصيدة،
والطرقات تتواصل على حجر المصيدة الصوان!
ولكن كان عليّ
أن أحيل لآلئ المآقي
وأنفاسي اللاهثة في صدري المحطم
وجبيني المقطّب
إلى ابتسامة،
وأن أحيل الليل المظلم نهارًا!
لم أنس تلك الأيام حتى الآن...
ولا أزال أشعر بطعمها في أيامي الحالية!
الليالي الحزينة، والسهاد والأرق

وتلك السلاسل الكامنة

خلف الألوان البهيجة للصباح المشرق،

كل هذا ليس جديدًا عليّ،

فأنا لم أنس تلك الأيام حتى الآن!

الحكاية

التحفت القصة برداء الفضول!
نهضت، وتقدمت،
وطرقت في صمت باب القلب الموصد قائلة:
اسمع، إنه أنا،
غار مظلم موحش
وقرون من ليل متواصل!
مدينة للعميان... وصور سوداء!
أما أنا ضحية الظلم فقد أفلتُّ من قبضتها جميعًا!
انهضوا، انظروا!
إن آثار طرقاتي تستحيل مجرات لامعة،
وتنثر أشعتها على نومكم،
توقظكم
ساخرة من عجز أحلامكم!
انهضوا، إنه أنا!

أوقف هذه اللآلئ

كلا، عليك أن توقف انهمار هذه اللآلئ،

ولتتحول كلماتك إلى كأس من الحديث يفيض،

وتصبح رسالة جميلة للفرحة العطرة،

ولتلق بالأحزان أسفل الكأس الفائر،

وارسم خريطة جديدة على أرض السعادة،

وعَمِّر عالمًا جديدًا.

فإذا ازدادت الأحزان وتكاثرت،

وبدت صورها في المرآة

تتراءى قابعة في القاع،

فلا تدعها تقترب من فمك كدُرّ الخمر،

ولا تدعها تضيء!

لا تسمح لها بأن تستحيل لآلئ

فما زال علينا أن نعبر من أمس واليوم إلى الغد،

وهناك سيول كثيرة قادمة،

وأزمنة لا ندري كم هي!

لا تدع هذه اللآلئ تتساقط الآن

فقد تتحول إلى سيل في هذا الوادي القاحل،

وتصير رداءً للأحلام!

ترشيد العمالة

خطاب في الأيدي المرتعشة،

ودوائر تتراقص في العيون،

وأهداف تفترق، وأبواب تبتعد،

وملامح معقدة لألفاظ سوداء على ورقة ناصعة البياض،

وملامح بلا وجوه لوجوه لا حصر لها!

كانت رحمة... أيام صفرة الأيادي،

والأم... تنتظر وقد عقدت خيط الدعاء الذهبي،

والورود المتفتحة... لا تدري شيئًا عن المستقبل،

ورفيقة في قهر الحياة،

ورقة واحدة أحرقتهم جميعًا بنارها!

وتحولت الأيام المضيئة إلى ظلام دامس،

وأصبح أشرف المخلوقات

في لحظات

عاطلاً، تافهًا بلا قيمة،

وعبثًا على الحياة،

وغطى غبار الظلام العيون على مدى البصر!

لعلّ دفعة هواء

ألا تزال تجلس في الطريق؟

لعلّ دفعة هواء

تحلّ بأحضان إحساسك،

وتملأ كشكول الأشعار الكحليّ

وتريحك!

أو تحدث إعصارًا!

ألا تزال تجلس في الطريق؟

الحقيقة

كنت وحيدًا،

أسير بغير توقف على طريق مظلم،

فلا بريق للنور بين الأشعار

ولا حلاوة في الأصوات

وهالات الظلام تستحيل إلى صور وأشكال عجيبة،

فلا أمل يبدو ولا أمر يتمّ!

وفجأة ظهرت تقطيبة على جبين الأرض

كأن الضياء كان مدفونًا بداخلها!

ظهرت التقطيبة للحظة مضطربة تتلوى،

برقت ثم غاصت في الظلام المخيف..

لقد كانت الحقيقة!

قصة لا تنتهي

إنها قصة..
فيها البلاط الذي
يعجّ باستعراض رخيص للعلم والفضل!
علماء وفضلاء كثيرون
مستلقون عند أقدام السلطان
تملّقًا ونفاقًا،
فإذا ما حرّك السلطان قدميه
تحركوا هم إلى الأمام!
كلهم ملتصقون بالأرض
من أجل سعادة وحسن طالع،
والبعض التصق بشدة
لعل الأرض تبتلعه وتسوّى به!
إنه عبء لا يمكن للأرض أن تتولاه،
تلفظه فيرتطم بالسلطان

ويطيش عقل السلطان غضبًا

فيأمر بإلقاء المتملّقين بعيدًا

جميع المتملّقين!

وجلس أصحاب القلانس والعمائم

فإذا ما طرفت عين أحدهم،

حملوا عليه

ووصلوا إلى أعتاب السلطان،

فيسقطون أمامه من أجل منصب،

ثم يلقي بهم بعيدًا

وهكذا...

قصة لا تنتهي

ولا تعثر فيها على أثر لشخصية!

وانقطع الخيط أثناء الحديث

تتابع الألفاظ واحدًا تلو الآخر،
فالمجالس ميسّرة والزائرين كذلك،
والأرض تحت القلم واضعة يدًا على يد،
وأثناء الحديث انقطع الخيط... ذلك الذي لا طرف له،
وبدت العين وكأنها تهرب من معاني الألفاظ،
والألفاظ كأنها أصوات آنية محطمة.
لا يوجد حديثان ليس بينهما خلط:
الأغنية ناقصة، واللحن ناقص، وكل ارتعاشة خافتة.
ويتبادر معنى آخر إلى ذهن شاعر مستغرق في شعره:
هل اليوم الآن..؟ كلا، ليس اليوم.
لكن اسمع، لقد نهضت ورحلت.
الحياة... آه من الحياة!
دعك من أحزان الموت..

وهنا الشاعر مستغرق في شعره:

ها أنا ذاهب إلى اجتماع هام

سيتواصل حديثنا

وسنلتقي أحيانًا ونتبادل الحديث،

ولكن أين يكون اللقاء، وأين يكون الحديث!

هذا اللقاء، أين هذا اللقاء!

فالروح ليست مستعدة، والجسم ليس نشيطًا.

الألفاظ على الشفاه لكنها مبتورة عن القلب!

مجرد علاقة تخلو من الحب

رغم وجود الأحباب وكذا المجالس وكذا اللقاءات!

حوار مع النجوم

مصباح الأمل الذي كان في قلبي..
ترنحت شعلته وخفت ضوؤها
بسبب عاصفة السلوك،
وأخذت تتلقى الصفعات من كل جانب
وفي النهاية، سقطت هذه الشعلة المضيئة
من نفسها إلى أسفلها.
هذه الشعلة هي نور الأمل
التي تتراقص أشعة الضياء في الأعين بفضلها
والأماني في القلوب والحرارة على الشفاه.
أيتها النجوم! لو انطفأت هذه الشعلة
لخاصم العبير الورود الفواحة،
وخاصمت أمطار النور القمر المضيء،
وخاصمت أمواج الشمس بحار النموّ.

هذا العبير، هذه الأمطار، هذه الحرارة وهذه الأمواج

ستخاصم كلها مجلسي وتعتزلني

وتصبح هذه الدنيا مرقدًا للسواد.

يا قاطني سمائي الممتدة!

يا رفاقي في ليالي الأحزان!

صداقتكم في أن تلتقوني،

تلتفتون إليّ في الأسفل من عليائكم.

أيتها النجوم! أقبلوا إليّ

فقد يُرزق بكم مصباحي المتخافت!

منظومة طويلة

إخلاص [1]

(١)

نجوم أرجوانية وقرمزية وخضراء وزرقاء وكحلية
ترتفع إلى العلا، ومع ذلك تصل إلى الحضيض!
ذلك الدّلال الذي كان التواضع فيه بمثابة أمطار الرحمة،
فجأة خطّ هذا الدّلال
خطًا على فلك إحساسي غير الناضج
والكرات الجميلة تلامس الفضاء.
وها هي علائم أمنياتي
وسند آمالي المشرقة
تتحطم وتسقط على الأرض
فتتناثر أشلاؤها وينفرط عقد كياني في ذراها.

---

(١) إلى أناتول فرانس.

(٢)

السكون والطمأنينة، ذلك الجوهر المجهول
الذي أبحث عنه منذ الأزل،
وسواء في الحانة أو في بلاط السلطان أو في الحرملك،
آثار الوحشة على وجوه الجميع.
نظرت إلى الجميع
وتحوّلت إلى كيان خائف
وفررت من المدن البراقة
وتركت الحدائق الفواحة
وخلّفت الشلالات ورائي
ونزلت بخطى زاحفة إلى جانب،
من فوق القمم العالية محنيّ الرأس.

(٣)

المنظر من هنا مختلف عن المنظر السابق،
كثير من العُبَّاد والنُسَّاك، اكتسبوا مهارة كبيرة
فليس هنا أفراح ولا أتراح،
كل هذه

تتجوّل ذليلة حافية الأقدام في حالة يرثى لها خلف هذا الجبل.

وتحوّلت المحبة هنا إلى يد

لامست الأوراق المزقة،

تلك الأوراق الممزقة

التي يفوح من باطنها رائحة الإلهام.

وكنت أنا أُقبِّل ألفاظه بعينيّ

وحروف الهجاء

تسير فوق أنظاري مثل النّمل الباكي.

أنا لم أتعلم القراءة ولا الكتابة

فكيف أقرأ هذه الصحف

وكيف أخطّ هذه المسوّدات؟

كان كثير من الرهبان يتحدّثون

وينظمون ورود العقيدة في الألفاظ في حضرة مريم،

أما أنا فكنت أبيع الدهشة في الألفاظ!

كنت مجرد صنم في حضرة العذراء

العذراء العظيمة، مريم العظيمة

تلك اليد التي نقلت ملامح هذا الجسد الرائع للأحجار..

لم تكن يدي،

فلم يكن لديّ فنّ من الفنون..

أكان اعتقادي؟!

أكانت محبتي؟!

وليس لديّ ألفاظ ومعان، ولا صور وألوان

حتى يكون قدري هو اللعب بالزجاج!

كنت أقذف في الفضاء الكرات شبيهة الفقاعات الملونة،

فانفتحت أبواب الصدور المغلقة منذ زمن وجاء صوت يقول:

قدّم هدية بسيطة من فنّك إلى السيدة مريم!

ولا أدري إن كنت فكرت للحظة

أم أن اللحظة هي التي واتتني!

لا أدري شيئًا..

فقد أخبرت،

أنني كنت أقف على رأسي بكل عقيدة واحترام أمام مريم

وكنت أقذف بالكرات في الفضاء

وهذه النجوم الأرجوانية والقرمزية والخضراء والزرقاء والكحلية

تشعّ فوق أفلاك الحياء والقداسة،

فتخلّى فنان شاعر

عن فنه

ونظر بعين الغيظ والغضب قائلاً:

كيف لي أن أعرف

أن حبك في عيون مريم؟

وتناثرت ورود الابتسامة على الشفاه الحمراء لتمثال الحياء

فأيقظتني..

وكان الرهبان جميعًا يبحثون عن عيب في مدوّنة محاولاتي!

شاعرية زاهد عند النقاد

محمد حنيف رامى

زاهد منير هو الشاعر الذى يجمع بين الجنون والزهد فـــى آن واحد، وقلبه مملوء بالجنون لكن مخه يراعى الزهد. ونوعيـــة جنونـــه عاطفية لأن أجزاء جسده مكونة بالعشق لكن الحياة المتحركة حولـــه لا تمنحه الفرصة لممارسة العشق الذى يطلبه قلبه.

إن زاهد منير مع تزويده بقيوض العشق كلها يبدو حزينًا، لأنه يبحث عن المقصود أكثر مما يبحث عن الموجود "يبحث عن أفــضل الأفضل" وهذا هو الشيء الذى يميزه عن معاصريه.

الدكتور وحيد قريشى

إن زاهد منير عامر شاعر فى كل من بنية القصائد والأخيلة. ويوجد اظهار للجدة والابتكار عنده فى كل من البنيـــة والأســـلوب، ويمتاز ابتكاره بانه يوجد فيه التقليد أيضًا والذى لا يكاد أن يرى عند الشعراء المحدثين أو أنهم لا يلتفتون إلى هذا.

البروفيسر نظير صديقى

الميزة البارزة لابتكار زاهد منير عامر أنه يرغب فى نظم القـصائد أكثر من قول الغزل، وقد اتخذ القصيدة الحرة كوسيلة لإظهار حياتـه الشعرية فى قصائده. وعادة ما تكون قصائده مختصره وهى ليـست بسهلة الفهم لكن توجد فيها العلامات والاستعارات التى تلفت أنظـار القارئين إليها ويوجد فى داخله الشاعر الذى يملك وجودًا طبيعيًا.

مؤلفات زاهد منير عامر

١- دواوين شعرية:

1- Pehli Sahar kay Rang (Colours of early Dawn)
The first collection of poems and ghazals by Zahid M. Amir. Compiled by Ibrar Hussain.
Published by
Halqa-I-Ahbab-e-Amir Sargodha, Pakistan, 1989.

2- Tira Aks Aainon Main (Your Reflection in Mirrors)
Second collection of poems by Zahid M. Amir
Published by
Khazina-e-Ilm-o-adab Lahore, Pakistan, 2000.

3- Nazm Mujh Se Kalam Karti He (The Poem Talks to me)
Third collection of poems by Zahid M. Amir
Published by
Tanazur Matbo'at Lahore, Pakistan, 2006.

۲- دراسات:

01. *Lamhon ka Qarz* (debt of moments)

Analysis and suggestions on intellectual and emotional problem of modern youth.

First published under the command of

- National Book Council of Pakistan (Ministry of Education, Govt. of Pakistan), 1989.
- Tanazur Matbuaat Lahore, Pakistan (Second Edition), 1998.
- Darul Tazkeer Lahore, Pakistan (Third Edition), 2004

02. *Jihat* (Dimensions)

Research papers on the art of editing, biography, psychology and mysticism.

Published by:

- Faculty of Islamic and Oriental Learning University of the Punjab, Lahore, Pakistan, 2000.

03. *Makateeb-e-Zafar Ali Khan* (Letters of Maulana Zafar Ali Khan)

A collection of literary, political and personal letters written by renowned politician, poet and journalist of sub-continent. It also has the letters background, annotation a detailed preface and critical appreciation by the compiler.

Published By:

- Sunny Publications Lahore, Pakistan, 1986.

04. *Mir Soz – Sawanih aur Shakhsiat* (Mir Soz Life and Personality)

The biography and personality analysis of an important classical Urdu poet of 18th Century. The first book written on the poet during the last two centuries.

Published by:

- Punjab University Oriental College Lahore, Pakistan, 2000.

05. ***Allama Iqbal Ki Tarikh-e-Weladat Aik Mutalia***

(A study on Allama Iqbal's date of birth in Urdu and English Language.)

A detailed critical study on misunderstandings and ambiguities about the date of birth of philosopher poet Dr. Muhammad Iqbal (Co-Author: Dr. Waheed Qurashi).

Published by:

- Bazm-e-Iqbal Lahore, Pakistan. (Governed by Govt. of the Punjab), 1994.

06. *Iqbal Shanasi Aur Naveed-e-Subh*

(Familiarity with Iqbal and 'The Dawn')

Editing of selected essays on the thoughts and art of philosopher poet Dr. Muhammad Iqbal with annotation and preface.

Published by:

- Bazm-e-Iqbal Lahore, Pakistan (Governed by Govt. of the Punjab), 1990.

07. ***Maulana Taj Mahmood Halat-o-Maktoobat***

(Maulana Taj Mahmood, life and letters)

The first biography with some precious letters of a forgotten freedom fighter.

Published by:

- Institute of History and Research, Sargodha, Pakistan, 1985.

08. ***Apni Dunya Aap Paeda Kar*** (Make Your World --- Your Self)

Simplification and practical application of certain philosophical problems and discussions focusing on intellectual and programmatic problems of the young generation.

Published by:

- Globe Publishers Lahore, Pakistan, 1989.

09. ***Naqoosh-e-Jawidan*** (Perennial Images)

Critical and research based analysis of some political and religious movements of Indo Pak history from 1930 to 1953.

Published by:

- Al-Mahmood Academy Lahore, Pakistan, 1988.

10. ***Maulana ZafarAli Khan***

A bibliography

Published by:

- National Language Authority (Cabinet Division) Govt. of Pakistan, Islamabad, 1993.

11. ***Lamhey Ki Roshni*** (Light in a Moment)

What qualities should a student possess in the learning process. A brief and comprehensive writing on the topic.

Published by:

Tanazur Matboaat Lahore, Pakistan, 2001.

12. ***Armoghan-e-Shirani*** (Co-author)

A commemoration volume in memory of renowned literary scholar of Urdu and Persian Hafiz Mahmood Shirani.

Published by:

Department of Urdu, Punjab University Lahore, Pakistan, 2001.

13. ***Aaina-e-Kirdar*** (A mirror of Human character)
    A history of morality and moral values along with some articles on moral issues.
    Published by:
    Shaikh Zayed Islamic Centre, Punjab University Lahore, 2002.
14. ***Char Mausam Aitchison College Main***
    (Four seasons in Aitchison College)
    Cultural and academic history of an old public school of Punjab, in form of memoirs.
    Published by:
    Malik & Company Lahore, Pakistan, 2004.
15. ***Tarikh-e-Jamia Punjab*** (History of Punjab University)
    A History of Modern Period of biggest and oldest seat of learning in the country, University of the Punjab, Lahore. 1982-2002
    Published by:
    University of the Punjab, Lahore, 2004.
16. ***Chilchragh***
    (Fourty Lamps) An Anthology of research articles by Author regarding Classical Urdu Literature, some unfold aspects of History & Iqbal Studies.
    Published by:
    Faculty of Oriental Learnings, University of the Punjab, Lahore, 2007.
17. ***On the Wings of Poesy*** (English)
    A Collection of Critical Articles on Modern Urdu Poets with a foreword in English Language.
    Published by:
    Urdu Academy Pakistan, 2007.
18. ***Kulliyat-e-Mir Soz***
    (Complete Poetical Works of Urdu Classical Poet of 18th Century)
    Vol. I , Majlis-e-Taraqi-e-Adab Lahore Pakistan, 2007.

19. ***Sitara-e-Sahar***

A commemoration volume in honour of Late Chauhdhry Muhammad Munir Khan (December 24, 1914 ....April 13, 1970) his life history and character sketch

Published by:

Tanazur Matbo'at Lahore, Pakistan, 2008.

20. ***Kulliyat- e- Nasr -e-Zafar Ali Khan Vol. I***

(A collection of unpublished & rare writings of Renowned National Leader, Scholar, Journalist and Poet of Sub-continent.

Publishers:

West Pakistan Urdu Academy, Lahore, 2008.

21. ***Sham Ki Subh Lebanon Ki Sham*** (Urdu)

A Travelogue of Syria and Lebanon along with a research paper presented at International Conference on Religious Tolerance at University of Damascus Syria.

Published by:

Tanazur Matbo'at Lahore, Pakistan, 2009.

22. ***Religious Tolerance and Muhammad Iqbal's Philosophy***

A research based and critical study of Muhammad Iqbal's Thought in the Light of Modern day Challenges, Under Print.

23. ***Makateeb-e-Zafar Ali Khan Vol 2***

(Letters of Maulana Zafar Ali Khan)

Second volume of rare literary, political and personal letters written by renowned politician, poet and journalist of sub-continent. It also has the letters background, annotation a detailed preface and critical appreciation by the compiler, Under Print.

٣- ترجمات لأعمال زاهد منير عامر:

1. ***O,er the deep*** (English)

   English Translations of Urdu Poems by Dr Zahid Munir Amir.

   Published by:

   Tanazur Matbooat Pakistan, 2008.

2. ***Mir'at ul Salook*** (Arabic)

   Arabic Translations of Dr Zahid Munir Amir's book *Aaena e Kirdar* on history of moral values and some discussions on Moral Ideology in Islam.

   Translated By:

   Dr Hafiz Muhammad Munir, Under Print.

الشاعر في سطور:

زاهد منير عامر

- أستاذ اللغة الأردية وآدابها بجامعة البنجاب – لاهور – باكستان.
- أستاذ زائر بكلية اللغات والترجمة – جامعة الأزهر – القاهرة.
- مجالات التخصص: الأدب الحديث، الدراسات الاسلامية، شعر محمد إقبال، النقد الأدبى.
- شارك بأوراق بحثية في مؤتمرات عدة بمصر وسوريا والأردن واليابان وباكستان.
- أذيعت المحاضرات الأدبية والدينية التى ألقاها بالتليفزيون.
- له ٢٦ مؤلفا في مجال الدراسات الأدبية والدراسات الإسلامية و٣ دواوين شعرية.
- ترجمت قصائده إلى الانجليزية والفرنسية و الفارسية والعربية.
- يكتب بصفة منتظمة في جريدة الاجيبشين جازيت التي تصدر بالإنجليزية في مصر.

المترجم في سطور:

محمد إبراهيم محمد

- أستاذ اللغة الأردية وآدابها بكلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر.
- شارك في العديد من المؤتمرات المحلية والدولية ونشرت أبحاثه في المجلات العلمية المحلية والدولية أيضًا.
- نقل العديد من الكتب من اللغة الأردية إلى اللغة العربية، منها:

- "من وحي المجتمع الباكستاني: قصص أردية مترجمة" (١٩٩٧).
- "البحث عن الإنسانية" (١٩٩٩).
- "رحلة من البحث" (٢٠٠٥).
- "سيرة خير الأنام" (٢٠٠٧).

من مؤلفاته المنشورة:

- "محمد إقبال شاعر الشرق" (١٩٩٧).
- "قصص من باكستان والهند" (١٩٩٩).
- الشعر الأردى الحديث والمعاصر" (٢٠٠٣).

الإشراف اللغوى: **حسام عبد العزيز**

الإشراف الفنى: **حسـن كامل**



بدايات
ونهايات



الحب زهرة
تلاطم الرياح والطوفان، وتنتصر فى الميدان،
إلا أن خلودها،
إلا أن بقاءها،
لا يعدو سفرًا من نصر التفتح إلى هزيمة الذبول.
ويتسلل الهواء إلى الأغصان،
ويهمس إليها قائلا:
الحب زهرة ولكن...
مصيرها إلى الذبول.